ثورة ١٩٥٨ في العراق :

أشرنا فيما سبق الى ثورة مايس ١٩٤١ . وقلنا انها على الرغم من فشلها عسكرياً . لعدم وجود التكافؤ بين القوات العراقية والقوات البريطانية في النواحي الفنية والعسكرية والتنظيمية الا انها تعد مرحلة مهمة من مراحل نضال الشعب العراقي من اجل التحرر والاستقلال . ولقد ابدت فصائل الجيش في هذه الثورة رغم امكاناتها المحدودة ضروباً في البسالة والتضحية وقدمت في سبيل الاستقلال الناجز العديد من الشهداء . وصعد ابطال الجيش الى المشانق وهم يهتفون بحياة العراق والأمة العربية .

لقد بذرت ثورة ١٩٤١ روح الثورة في الاقطار العربية الاخرى . فكانت حافزاً قوياً لثورة ٢٣ يوليو (تموز) في مصر سنة ١٩٥٢ . وبسبب اتجاهها القومي العربي عكست كذلك ، مدى الترابط النضالي الوثيق بين الشعب العربي في اقطاره المختلفة ومنها سوريا التي كون فيها « البعثيون الاوائل » « جمعية لنصرة العراق » مهمتها تجنيد الشباب وارسالهم الى العراق لمؤازرة الجيش والشعب اللذين كانا يخوضان معارك غير متكافئة ضد الانكليز واذنابهم . ومن خلال تلك الحركة استفادت تلك الطليعة المناضلة من مناسبة ثورة مايس ١٩٤١ في ابراز فكرة الوحدة العربية .

وفي كانون الثاني ١٩٤٨ عقدت بين العراق وبريطانيا معاهدة بورتسموث بدلا من معاهدة ١٩٣٠ . وقد تعهد العراق بموجب هذه المعاهدة بفتح حدوده ومطاراته وموانيه في أي وقت يشعر فيه بوجود ازمة دولية تهدد فيها سلامة بريطانيا . كما بقت القاعدتان الانكليزيتان في الشعيبة والحبانية على حالهما . ولكن الشعب العراقي ثار ضد معاهدة بورتسموث فسقط عشرات القتلى والجرحى . واجتاحت البلاد مظاهرات عنيفة ، كان من نتيجتها الغاء المعاهدة ، وهروب رئيس الوزراء صالح جبر الى لندن ، ثم مجيء بمحمد الصدر الشخصية الدينية رئيساً للوزراء ، واجتاحت البلاد كلها بعد ذلك موجة ثورية وحصلت الحركة الوطنية على بعض المكاسب .

لقد ارتبط كفاح الحركة الوطنية بالقوات الوطنية العسكرية ارتباطاً وثيقاً . وكانت المظاهرات الشعبية تصفق لسيارات الجيش اذا مرت بها مما جعل رجاله ينظرون بعطف الى الجموع التي تقارع قوى الاستبداد المسلحة بقوة الايمان والعقيدة ، وبذلك اثبت الجيش مرة اخرى انه ليس غريبا عن قضية الشعب ، وليس اداة طيعة للاستعمار والرجعية

لقد ظهر فيما بعد ان مهمة الصدر ووزرائه كانت الالتفاف على الحركة الوطنية . فالاستعمار الذي خسر في المعركة لم يكن ليسلم بهذه السرعة فكان لابد من اعادة الكرة من جديد ، فاستغلت الحرب الفلسطينية لفرض الاحكام العرفية ، ولتوجيه الضربات المتتالية للحركة الوطنية ، وباسم الاحكام العرفية فتحت السجون لتلتقف الوف جديدة من الوطنيين واغلقت النقابات والاحزاب وفرض جو أسود على الحياة العامة في البلاد .

ثم جاءت سنة ١٩٥٢ لتكون سنة حاسمة في بروز تنظيم حزب البعث العربي الاشتراكي على المستوى الجماهيري في اكثر من قطر . ففي العراق بدأت افكار الحزب تنتشر منذ سنة ١٩٤٧ بواسطة الطلاب المدرسين السوريين الذين كانوا يدرسون في العراق ، وكذلك من بعض الطلبة العراقيين الذين كانوا يدرسون في لبنان وسوريا . وقد تم تشكيل اول خلية في ١٩٤٧ ثم ازدادت الخلايا واصبحت تشكل فرقة وذلك سنة ١٩٤٩ واصبح التنظيم فرعاً في ١٩٥٢ . وقد اعترف بالتنظيم حزباً سياسياً من قبل القيادة القومية عندما اصبح فرعا ، وأخذ ممثله يجتمع مع القيادة القطرية في سوريا . ولقد استهدفت أعمال الحزب الفتي في البداية ابراز أسمه لأشعار الجماهير ، وتدريب منتسبيه على المهمات والاعمال من خلال الممارسات . ولقد ساهم الحزب في الفعاليات السياسية . وحكمت عليه ظروف العمل السري العمل تحت اسماء مختلفة مثل الشباب العربي والاشتراكيين العرب . وقد اصدر الحزب بياناً بمناسبة اتفاقية النفط سنة ١٩٥٢ رفض فيه بشدة الاتفاقية ودعا الجماهير للنضال من أجل احباط كافة المشاريع الاستعمارية وقد لعبت بعض الكراريس امثال احاديث البعث العربي وذكرى الرسول العربي دوراً مهماً في نشر افكار الحزب . وفي ١٩٥٢ ونتيجة لتراجع الاحزاب الوطنية التقليدية عن أساليب المواجهة والتصدي ، برز الحزب قوة توزيع البيانات وتحرك الاضرابات وتنظيم المظاهرات .

وفي انتفاضة تشرين الثاني الوطنية ١٩٥٢ لفت الحزب ، بدوره البارز ، أنظار السلطة الى وجوده ونشاطه فبدأت تراقب مناضليه وتحاول كشف تنظيماته . وعندما وقع الاعتداء على طلبة كلية الطبيدلة يوم ١٩ تشرين الثاني ١٩٥٢ الذي كان الشرارة لانتفاضة تشرين أصدر الشباب العربي الجامعي بياناً أستنكر فيه الاعتداء ، ودعا الطلبة الى النضال وقاد الحزب مظاهرة في ٢٢ تشرين الثاني ابتدأت من دار المعلمين العالية . ومرت بكلية التجارة والاقتصاد ، فكلية الاداب والعلوم ثم الكلية الطبية حيث تفرقت هناك وكانت هذه المظاهرة اول ممارسة عملية للحزب .

كما حلل الحزب انتفاضة تشرين وعوامل فشلها في تحقيق أهدافها القريبة . فكتبت جريدة الاشتراكي جريدة الحزب السرية مقالاً بعنوان « انتفاضة تشرين الشعبيـــة » أوضحت فيه ان أسباب فشل الانتفاضة ترجع الى عدم تكتيل الشعب في طليعة نضالية مهيئة للعمل الثوري .

كلف الوصي عبدالاله الفريق نورالدين محمود رئيس اركان الجيش بتأليف الوزارة . وقد باشرت الوزارة عملها بحل الاحزاب . كما عطلت الصحف الوطنيـــة واعتقلت بعض القادة الوطنيين وانزلت الجيش الى شوارع بغداد بغية الحيلولة دون تفاقم الانتفاضة الشعبية . وحيث حاولت اجراء انتخابات جديدة . واجهت معارضة شديدة من لدن الاحزاب الوطنية وخاصة حزبي الاستقلال والوطني الديمقراطـــي . امـــا وزارة جميل المدفعي التي تولت الحكم في ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٣ ، فقد فشلت كذلك في حل مشاكل البلاد . فواجهت سلسلة من الاضرابات . وفي عهدها تم تتويج فيصل الثاني ملكاً على العراق في ٢ مايس ١٩٥٣ بعد بلوغه السن القانونية ، فانتهى بذلك عهد الوصاية . الا ان عبدالاله اصبح ولياً للعهد وظل قوة مؤثرة ومتنفذة داخل البلاط الملكي .

اخذ نضال حزب البعث العربي الأشتراكي في سنة ١٩٥٣ يكتسب ابعاداً شعبية جديدة ، فقد ازداد انصاره بين صفوف العمال والفلاحين وأصدر جريدته السرية الأولى (العربي الجديد) التي أصبح اسمها بعد عددين (الاشتراكي) . وأصدر البيانات المساندة لنضال الشعب في الأقطار العربية ، وخاصة أقطار المغرب العربي . وتبنى قضية عمال شركة الدخان الاهلية في تشرين الأول ١٩٥٣ ودعا في ١٤ كانون الأول ١٩٥٣ الى اضراب طلابي ناجح في المدارس والكليات تضامناً مع عمال شركة نفط البصرة الذين قمعتهم السلطات الحكومية بقسوة شديدة .

وعلى الصعيد السياسي انفجرت التناقضات والخلافات الكامنة بين عبد الاله ونوري السعيد حول سبل الارتباط بالاستعمار . وراقب الشعب نوري السعيد المرتبط بالسياسة البريطانية وهويعلن انه لم يستشر في تأليف وزارة فاضل الجمالي الثانية في ٨ آذار ١٩٥٤ المعروف بولائه لعبد الاله وميله للسياسة الاميركية ففجر السعيد خلافاته مع عبدالاله وسافر الى لندن ثم الى باريس بعد ان أقلقه النجاح النسبي الذي حققته الجبهة الوطنية فـــي الانتخابات النيابية التي أجرتها وزارة ارشدالعمري في ٩ حزيران ١٩٥٤ فنجح عشرة من اعضائها في دخول المجلس النيابي .